# اسم «الشام» عربيٌّ محض
# وضعه العرب لهذا الإقليم من جزيرتهم

«الشام» اسم عربيٌّ وضعه العرب على هذا الجزء من جزيرتهم كما وضعوا الأسماء للأقاليم الأخرى: نجد، والحجاز، واليمن.. ولم يُعرف اسم الشام في سجلات الأمم القديمة التي غزت بلاد الشام؛ كالرومان، والفرس، واليونان؛ وقد لاحظ العرب في كل إقليم صفة أو صفات كانت علة في وضع الاسم.. فنجد من الارتفاع، والحجاز من الحجز؛ لأنه يحجز تهامة عن نجد، واليمن: من اليمين، أو من اليُمْن، وتهامة من الانخفاض، والشام من الشمال، أو من السمو والعلو، أو من العلامات، والعلائم، جمع شامة[1]...

ومهما كان الاشتقاق والتعليل؛ فإنَّ الاسم موضوعٌ قبل الإسلام، ولعله عاصر تكون اللهجة العربية الأخيرة التي نزل بها القرآن الكريم، حيث عرفه العرب في الجاهلية، وصار من الأماكن التي يرتادونها، ويذكرونها في أشعارهم، فقال المرقش الأكبر، عوف (أو عمرو) بن سعد (ت 75ق. هـ) في قصيدة من (المفضليات/ 129):

إنْ تكوني تركتِ رَبْعك بالشـ ... ـأم وجاورت حِمْيَراً ومرادا
فارتجي أن أكون منك قريباً ... فاسألي الصادرين والوُرّادا

وقال خُراشةُ بن عمرو العبسي، في الجاهلية، من مطلع قصيدة في «المفضليات» (121):

---

(1) قال أنيس فريحة في تفسير اسم «شامات» البلدة اللبنانية: هناك ثلاثة احتمالات: أن يكون الاسم «شوماتا» بمعنى علامات من جذر «شوم»، أو من «شيماهاتا» بمعنى أسماء وألقاب، وهو جمع اسم، وعلمٌ، وقد يكون مشتقاً عن «سما يسمو» أو من «وسم يسم». والاحتمال الثالث: أن يكون الاسم عربياً فينيقياً «شموّث» بمعنى خرائب وأماكن مسلوبة منتهبة مهجورة من جذر «شمَّ». قال: أما أنا، فأرجح الإمكانة الأخيرة. وليس ذلك ببعيد، لعلّ العرب رأوا فيه آثار الأمم التي غزت البلاد، وهي مهجورة.

وبُدِّل من ليلى بما قد تحلُّه نعاجَ الملا ترعى الدَّخولَ فحوْمَلا

مُلمعةً بالشأم سُفعاً خدودُها كأنَّ عليها سابرياً مذيَّلا

(يقول: حلَّ محل ليلى البقرُ الوحشي، ويصف هذا البقر).

وقال الحطيئة، وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام:

إنَّ امرأً رهطُه بالشام منزله برمل يبرين جاراً شدَّ ما اغتربا

. . . يريد أن يقول: إن المسافة بعيدة بين الشام، ويبرين، وهي بالقرب من الحسا في شرق الجزيرة العربية.

وقال الفرزدق، وهو من التابعين ـ رأى الإمام علياً ـ:

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصبٍ كنديفِ القطنِ منثورِ

(يريد: يسقط عليهم الثلج مثل نديف القطن).

وجاء اسم «الشام» في نصوص الأحاديث النبويّة الصحيحة متناً وسنداً، وكان النبيُّ يخاطب قومه باللغة التي يفهمونها، ويفهمون مضموناتها: من ذلك قول محمد ﷺ: «يا طوبى للشام. . قالها ثلاث مرات. . قالوا: يا رسول الله! وبم ذلك؟ قال: تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام». [فضائل الشام للربعي]. وقال الألباني: حديث صحيح.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ستجندون أجناداً: جُنداً بالشام، وجُنداً بالعراق، وجُنداً باليمن»، وقال: «عليكم بالشام» [عن فضائل الشام للربعي].

وقال الألباني: حديث صحيح جداً.

وقال: «الشام أرض المحشر والمنشر» [حديث صحيح]. [انظر: «فضائل الشام ودمشق» للربعي].

ودخل اسم «الشام» المعجم العربي، بوصفه اسماً عربياً، فذكروا اشتقاقه؛ لأنه عن مشأمة ـ شمال ـ القبلة. وذكروا أسلوب النسب إليه، فيقال: رجل شآم: إذا نسبته إلى الشأم.

والشأم: بلاد تذكر وتؤنث، وشاهد التأنيث قول جواس الكلبي يعاتب بني أُمية:

والشأم: بلاد تذكر وتؤنث، وشاهد التأنيث قول جواس الكلبي يعاتب بني أُمية:

**جئتم من البلد البعيد نياطُهُ والشأمُ تنكرُ كَهْلها وفتاها**

. . . يقول لبني أُميَّة أنتم غرباء عن الشام؛ لأن بني كلب - وهم من اليمن - كانوا من قدماء العرب في بلاد الشام، قبل الإسلام بقرون عديدة.

ومثال التذكير:

**يقولون إنَّ الشأم يقتلُ أهله فمن لي إنْ لم آته بخلود**

. . . وذكروا في لفظه لغات، منها: «الشأم» بسكون الهمزة، كما ذكرنا سابقاً، ومنها: «الشآم» بالمدّ، ومنه قول المجنون:

**وخبّرتُ ليلى بالشآم مريضةً فأقبلتُ من مصْرٍ إليها أعودُها**

وتعدّد اللغات أو اللهجات في الاسم، دليل على قدمه، وأن القبائل العربية قد تداولته في الجاهلية، فنشأت اللهجات لذلك.

وفيه لغة ثالثة: «الشام» بالألف دون همزة، جمع «شامة»، وهي الخال. والشامة أيضاً: الأثر الأسود في البدن والأرض، والعرب يجعلون «الأخضر» و«الأسود» سواء في باب الزراعة، ومنه سواد العراق. وبلاد الشام ذات قرى ومزارع كثيرة تغطيها الأشجار الطبيعية، أو الزراعة التي يخدمها الفلاحون.

. . . والكلام في عروبة الاسم واسع يستأهلُ رسالة، وذكرت منه ما فيه الدلالة على العنوان.